

دلائل الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم .

فصل في أهمية السياق للمعنى .

ما أظنُّ بكَ أيها القارئ لكتابنا إن كنتَ وفـيـته حقـة من النظرِ وتدبـرـته حقـة التدبـرِ إلا أنكَ قد علمتَ علماً أـبـى أن يكون للشكِّ فيه نصيبٌ وللتوقفِ نحوكَ مذهبٌ أن° ليس النظمُ شيئاً إلاً توخيُّ معاني النحو وأحكامه ووجهه وفروقه فيما بيـنَ معاني الكلم . وأنك قد تبيـنتَ أنه إذا رُفِعَ معاني النـحو وأحكامه مما بينَ الكلمِ حتى لا تُرادَ فيها في جملةٍ ولا تفصيلٍ خرجت الكلم المنطوقُ ببعضها في أثرٍ بعضٍ في البيتِ من الشعرِ والفصلِ من النَّثرِ عن أن° يكونَ لكونها في مواضعها التي وُضِعَت° فيها مُوجبٌ ومُقتضٍ وعن° أن يتصورَ أن يقالَ في كلمة منها إنها مرتبطةٌ بصاحبةٍ لها ومتعلِّقةٌ بها وكائنةٌ بسببٍ منها وأن° حسنَ تصوُّركَ لذلك قد ثبـتَ فيه قـدَمَ مـكـَ وملاً مـنَ الثـقـةِ نفسـكَ وباعدك من أن تحـنـ° إلى الذي كنتَ عليه وأن يـجـرُّكَ الإلـفُ والاعتـيـادُ إـلـيـه وأنك جعلتَ ما قلناه نقشاً في صدركَ وأثبتتَهُ° في سويداءِ قلبكَ وصادقتَ بينه وبينَ نفسك . فإن° كانَ الأمرُ كما طناه رجونا أن يصادفَ الذي نريدُ أن نستأنفَه بعونِ الله تعالى منك نيةً حسنةً تفيك المللَ ورغبةً صادقةً تدفعُ عنك السأمَ وأرـوحيـةً يخفُّ معها عليك تعبُ الفـكـرِ وكدُّ النظرِ . والله تعالى وليُّ توفيقك وتوفيقنا بمنه وفضله . ونبدأ فنقول :

فإذا ثبتَ الآن أن° لا شكَّ° ولا مـرـوـيـة° في أن° ليس النظمُ شيئاً غيرَ توخيِّ معاني النحو وأحكامه فيما بينَ معاني الكلم ثبتَ من ذلك أن° طالبَ دليلِ الإعجازِ مـنَ نَظْمِ القرآنِ إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجهه وفروقه ولم يَعْلَمَ° أنها معدنُهُ ومعانه وموضعه ومكانُهُ وأنه لا مُستنبط له سواها وأن° لا وجهَ لطلبه فيما عداها غارُ نفسه بالكاذب من الطامع ومُسـلـمٌ لها إلى الخُداع وأنه° إن° أبى أن يكونَ فيها كان قد أبى أن° يكون القرآنُ معجزاً بنظمه ولازمه أن يُثبتَ شيئاً آخرَ يكونُ معجزاً به وأن° يلحقَ بأصحابِ الصـرـفةِ